

سُورَةُ الزُّمَرِ

آياتها
٧٥

ترتيبها
٣٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَأَعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا
لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ

الإخلاص والطاعة لله عز وجل

(039) سورة الزمر

اللقاء الأول من تفسير سورة الزمر - شرح الآيات 1-5

2021-12-04

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين، اللهم علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علّمنا وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا رب العالمين، وبعد.

نبذة عن سورة الزمر:



سورة الزمر مكية

مع اللقاء الأول من لقاءات سورة الزمر، سورة الزمر مكية، وأنا أحاول أن أعني بالشور المكية بمزيد عنابة، لأنها تمثل المرحلة الحالية التي تعيشها الأمة، فنحن أقرب ما نكون إلى العهد المكي، عهد الاستصعاف، عهد بناء الإيمان في النفوس، لِمَا فِي هَذَا الْعَصْرِ مِنْ شَهَوَاتٍ وَشَهَوَاتٍ، كَأَنَّهَا فِي الْعَصْرِ الْمَكِّيِّ، كَأَنَّهَا أَقْرَبُ مَا نَكُونُ إِلَى الْعَصْرِ الْمَكِّيِّ.

سورة الزمر مكية، تزلت قبل الهجرة، آياتها 75 آية.

موضوعها العام هو التوحيد، تجريد التوحيد لله تعالى، الإخلاص لله في العبادة والطاعة، كل الآيات في سورة الزمر تدور حول هذا المحور، تستخدم السورة الأمثلة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
صَرََبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا [سورة الزمر]
الْحَمْدُ لِلَّهِ [بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (29)

[سورة الزمر]

وأحياناً الحقائق المُخَرَّدة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ [وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ [إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (3)

[سورة الزمر]

كل ما يُسْتَخْدَم في هذه السُّورة من أساليب بلاغية، أو لُغوية، هدفه الوصول إلى فكرة التَّوحيد وبناء التَّوحيد في النَّفوس، وما تَعَلَّمَت العبيد أفضل من التَّوحيد، التَّوحيد ألا ترى مع الله أحداً، أن ترى أن يد الله وحدها تعمل في الحَقَاء، وأنه ليس في الكون مُتَصَرِّفٌ إلا الله، وأن كل ما ترى ممن يَتَصَرِّف في هذا الكون إنما يتَصَرِّف بإرادة الله الكونية سواءً كان ما يحدث برضاه أم بغير رضاه فإنه يحدث بإرادته، قد يحدث شيء لا يرضاه ولكنه يحدث بإرادته، فلا شيء في الكون يحدث بغير إرادة الله، هو المالك ومن تمام ملكه ألا يحدث في ملكه شيء لا يُريده حاشاه جلَّ جلاله، فإن ترى يد الله وحدها تعمل، وأن الله وحده هو المُتَصَرِّف، هذا محور هذه السُّورة، سورة الزُّمر.

القرآن تنزيراً من الله نزل مُفَرَّقاً على حسب الوقائع والأحداث:

سورة الزُّمر بدأت بقوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (1)

[سورة الزمر]

سورة ص قبلها أُحْتِيمَت بقوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (87) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (88)

[سورة ص]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (1)

[سورة الزمر]

فاخْتِمْتَ سُورَةَ ص بِذِكْرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) وَاخْتِمْتَ سُورَةَ الرَّمْرِ بِالْحَدِيثِ عَنْ هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي هُوَ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ، هَذَا الرِّبْطُ بَيْنَ السُّورَةِ وَمَا قَبْلَهَا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (1)

تنزيل: مصدر مصدر، فعله: نَزَلَ، نَزَلَتْ، نَزَلًا، عَلَّمَ تعليمًا، حَكَّمَ تحكيمًا، وَفَّقَ توفيقًا، فَكَلَ فعل على وزن فَعَّلَ يأتي المصدر منه على وزن تفعيل، فتنزيل أن الله نَزَّلَ هذا الكتاب تنزيلًا، هناك في القرآن نَزَلَ ونَزَلَتْ، غالبًا نَزَلَ في القرآن الكريم تأتي للدلالة على التَّجْمِيعِ، أي على نزول القرآن مُتَّجَمًا أي مُقَرَّفًا بحسب الأحداث، لذلك قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (1)

[سورة القدر]

لأنه نَزَلَ جُمْلَةً واحدة من اللُّوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم نَزَلَ تنزيلًا على الوقائع والأحداث، شاءت حكمة الله تعالى أن ينزل القرآن مُقَرَّفًا، يأتي بعد حادثة، بعد سؤال، هذه أسباب النُّزُول ليكون أدعى للتثبيت في النفوس، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقُرْآنًا قَرَفْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنُزِّلْنَاهُ تَنْزِيلًا (106)

[سورة الإسراء]

نَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا، فالقرآن تنزيلٌ من الله لأنه نزل مُقَرَّفًا على حسب الوقائع والأحداث فيأتي السؤال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
عَنِ الْإِهْلَةِ □ فُلْنَ هِيَ مَوَاقِئُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ □ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ
طُحُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى □ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا □ وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (189)

[سورة البقرة]

أو يكون هناك حادثة وقعت فيأتي القرآن الكريم لبيان حكمها وهكذا.

القرآن الكريم محفوظ في الصدور والسطور:



الكتاب والقرآن اسقان لمُسَمَّى واحد

(تنزيل الكتاب) الكتاب والقرآن اسقان لمُسَمَّى واحد، لكن القرآن من حيث هو قراءة يُقرأ، والكتاب من حيث هو كتابة تُكتب، وقد علم الله تعالى أن هذا الكتاب سُبِكَتَب في السُّطور فسَمَّاه كتاباً لأنه يُكتب في السُّطور، كما أنه يُحَقَّق في الصُّدور فإنه سُبِحَقَط في السُّطور. المُصَحَّف هذا الكتاب الذي بين أيدينا، أمسيك المُصَحَّف هنا أو في أي بلد في العالم تجد أن الكلام نفسه لم يتغير ولم يتبدل، ولو حَدَّثت أي حَلَّل تُحَرِّق المُصاحف، ولو حَدَّثت أي محاولة للتغيير والتَّحريف فإنها تُكشَف فوراً وتُحرق المُصاحف، ويُحاسب من فعل ذلك:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (9)

[سورة الحجر]

فالقرآن يُرَل تنزِلاً وهو الكتاب لأنه مكتوب في المُصاحف، يُقرأ في السُّطور كما أنه يُحَقَّق في الصُّدور، قَبْلَ مُشَاقَفَةٍ وَثِقَل كِتَابَةٍ، وإذا قال الله تعالى: الكتاب، هذه ال التعريف تُفيد عَهْداً مُعَيَّناً للكتاب في ذهنك، فالكتاب هنا هو القرآن، أي إنسان تقول له: تنزيل الكتاب يفهم أن الكتاب هو القرآن، مع أن الكتب كثيرة لكن الكتاب هو هذا الكتاب العظيم المقهود في الدَّهن وهو كلام الله تعالى.

(تنزيل الكتاب مِنَ اللَّهِ) التنزيل يقتضي أن يكون هناك مُنَزَّلٌ ومُنَزَّلٌ عليه ومُنَزَّل. أن يكون هناك مُنَزَّلٌ ومُنَزَّلٌ عليه ومُنَزَّل، التنزيل يقتضي أنه يأتي من الأعلى إلى الأدنى، تنزيل من الأعلى للأدنى، فكلمة تنزيل تنسب إلى الله العُلُو، فهو جَلَّ جلاله فوق خَلقه جميعاً و يُنَزَّل عليهم جَلَّ جلاله، ثم المُنَزَّل هو الله، والمُنَزَّل عليه هو محمد صلي الله عليه وسلم، والمُنَزَّل هو الكتاب، وكلها لها شرفٌ عظيم، فالمُنَزَّل هو كلام الله، والمُنَزَّل هو الله، والمُنَزَّل عليه هو رسول الله، فَشَرَفُ المُنَزَّل عليه من شرف المُنَزَّل جَلَّ جلاله، فهو الذي نَزَّل، فالمُنَزَّل عليه عظيم الشان عند الله، والكلام المُنَزَّل عظيم عند الله.

تعظيم القرآن الكريم لأنه كتاب منزل من الله:

الآن **(تنزيل الكتاب مِنَ اللَّهِ)** للإشارة إلى هذا المعنى أنك عندما تَعَلَّم من الذي نَزَّل فإنه يحصل لك التعظيم في القلب فهذا كلام الله، والله اسم عَلم على واجب الوجود جَلَّ جلاله، وفيه كل الأسماء الحسنى، فالله هو اللطيف القوي، فالله هو اللطيف القوي، أسماء الله الحسنى في الأصل يُمكن أن نقول هي صفات، لكن عندما كانت دائمة الذِّكْر مع الله، إذا قُلْتَ لإنسان: لطيف، هذه صِفَتُهُ، أمَّا الله فلطيف صِفَتُهُ، نعم، لكن هو اسمه أيضاً، هو اسمٌ من أسمائه الحسنى لأن اللطيف ليس صِفَةً في الله ولكنه أصبح دالاً عليه جَلَّ جلاله، فالله هو اسم العَلم، هو الذي يجمع كل أسماء الحسنى، فإذا قلت: الله، فكأنك قلت الرَّحْمَنَ والرَّحِيمَ واللَّطِيفَ والسَّمِيعَ والغفورَ والودودَ والقريبَ والمُجِيبَ إلى آخر أسماء الله الحسنى.

الله تعالى عزيز يحتاجه كل شيء في كل شيء:



العزيز هو الذي يَنْدُر وجوده

(تنزيل الكتاب مِنَ اللَّهِ العزيز الحكيم) العزيز هو الذي يَنْدُر وجوده، وهو الذي يحتاجه كل شيء في كل شيء، وهو الغالب الذي يعلِّب ولا يُعَلَّب، عزيز. لماذا جاء هنا بالعزيز مثلاً ولم يأت بالغفور؟ لأن تنزيل الكتاب فيه أمر ونهي، الكتاب ما الذي بين دُفْتَيْهِ؟ بشكل رئيس هو هديٌّ، ما معنى هديٌّ؟ يأمر وينهى، افعل ولا تفعل، حتى الآيات الكونية، حتى القصص، كل شيء في القرآن الكريم من هذه الأساليب البلاغية جاء بهدف أن يُوصِلَكَ إلى أن تفعل ولا تفعل، أي المُخَصَّلة في القرآن أن تفعل شيئاً وأن تترك شيئاً، حلال و حرام، فعندما تفهم هذا المعنى كأن الإنسان يقول في داخله: هل هذا الأمر والنهي لشيء يريد الله منه شيئاً لذاته أم ما هو؟ لأنه عندما تكون مثلاً في شركة وياقي مدير جديد، عندما يأتي هذا المدير تُصدر الأوامر، المدير في أول يوم يُصدر أمراً بعدد ما تُصيرُه في السَّنة كلها من اليوم الأول، أمر للموظفين بساعة الدوام، أمر بعدم احتساء القهوة أثناء الدوام الرسمي، أمر، أمر، أمر. يقول موظف لآخر في إحدى الغرف يهمس بينه وبينه يقول له: هذا المدير جاء ليُنَيِّبَ مَوجودِيَّتِهِ، من أول يوم أوامر حتى تُنَيِّبَ مَوجودِيَّتِهِ، هذا افعلوه وهذا لا تفعلوه.

فعندما يقول تعالى: (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ) هل يُمكن أن يكون الله تعالى بحاجة لتنزيل الأوامر علينا؟ أبدأً، هو عزيز جلّ جلاله، فطاعته لا تنقعه، ومعصيته لا تصرّه، وإنما نزل الكتاب لك من أجلك أنت، فالأوامر التي فيه سعادتك في الدارين في الدنيا والآخرة، وهو لا يصرّه إن لم تلتزم، ولا ينقعه إن التزمت، فقال: العزيز.

الله تعالى حكيم وكل أفعاله وأوامره حكمة:



الإله يطلب الأشياء لصالحك أنت

إياك أن تتوهم أن الإله يطلب شيئاً لصالحه، وإنما يطلب الأشياء لصالحك أنت، فهو عزيز، ثم لما كان عزيزاً والعزيز لا يُسأل عما يفعل، ولا أحد يحاسبه، فيتوهم المتوهم أن أفعاله ستجانب الحكمة لأنه لا حساب عليه، المدير في المؤسسة من البشر متى يخطئ؟ عندما يظن أن مكانته في الشركة وعدم وجود من يسأله يُبيح له أن يفعل ما يشاء فيجانب الصواب ويجانب الحكمة أحياناً.

لكن الله عز وجل حاشاه أن يكون كذلك، فهو عزيز حكيم، هو غائب لا يُعَلَب، ومع ذلك فأوامره كلها حكمة، ليس فيها ما يجانب الحكمة والصواب حاشاه جلّ جلاله، فهو العزيز الحكيم.

الحكمة في الأصل من الحكمة القرس، كثير من المعاني تأتي في الأصل من المعاني المادية المحسوسة، ثم انتقلت إلى المعاني المجردة المعنوية. حكمة القرس التي تُوضع عند اللجام في قم القرس وتُمسك بحبل، فإذا أراد القرس أن ينزل إلى الأرض ليأكل والوقت الآن ليس وقت طعام تشد له الحكمة فيعود، وإذا أردت أن تتزكك ليأكل من الأرض فإنك تُرخي الحبل فيأكل، فسُميت حكمة يُتحكم بها بالقرس.

فالحكمة من هنا جاء معناها أنك تصع الشيء في موضعه المناسب، فالحكيم لا يتصرف بخلاف ما ينبغي، كل تصرفاته تأتي بما فيه المصلحة، وبما فيه الحكمة، عليم من عليم وجهل من جهل، قد تجهل الحكمة لكن تنكتشف لك بعد حين، أو يُترك كشفها ليوم القيامة، لأنه حكيم جلّ جلاله، كل أفعاله حكمة، فهو العزيز الحكيم.

القرآن الكريم حق من الله تعالى لا تزيده الأيام إلا ثباتاً:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (1) إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (2)

[سورة الزمر]

(إِنَّا أَنْزَلْنَا) الله تعالى (إِلَيْكَ) أحياناً يقول تعالى (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ) وأحياناً عليك. عليك: من باب أن التنزيل تم على محمد صلى الله عليه وسلم تخصيصاً، وعندما يقول إليك بمعنى أن هذا الإنزال تم من أجلك، فعليك من باب الأعلى إلى الأدنى، وإليك من باب أن هذا التنزيل لصالحك.

(إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ) بعد آيتين سيقول تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
"خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ" بِكُورِ اللَّيْلِ عَلَى النَّهَارِ وَبُكُورِ النَّهَارِ عَلَى اللَّيْلِ □
وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ □ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى □ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْعَقُورُ (5)

[سورة الزمر]

أي جاء بالحق في الآية الثانية وفي الآية الخامسة، خلق السماوات والأرض كان بالحق، وإنزال الكتاب بالحق، ما معنى بالحق؟ الحق هو الشيء الثابت الذي له هدف، وليس الشيء العايب أو الزائل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَرَهَقَ الْبَاطِلُ **﴿** إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (81) **﴾**

[سورة الإسراء]

زائلاً، أما الحق فمن حَقَّ الشيء يَحُقُّ إذا تَبَّتْ في مكانه ولم يتحرك، فالله تعالى أنزل هذا الكتاب بالحق بمعنى أنه لن يأتي شيء في المستقبل أو في الحاضر أو في أي وقتٍ يَنْقُضُهُ، مستحيل، لأنه بالحق:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ وَالْحَقُّ أَنزَلْنَاهُ بِالْحَقِّ تَرْلَ **﴾** وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (105)

[سورة الإسراء]

فهو حَقٌّ من الله تعالى، لا يمكن أن يَنْقُضَهُ شيء بل لا تزيده الأيام إلا رُسُوحاً وثُبُوتاً في نفوس الخلق، وهذا واضحٌ ملاحظ، لو كانت الهجْمَةُ التي تحصل دائماً على الإسلام والقرآن قد جَزَتْ على أي كتابٍ في الكون لانمَحَى من مئات السنين، لكن لأنه كلام الله تعالى فكل المحاولات التي حاولت التَّيْلُ من كتاب الله وَقُدْسِيَّتِهِ ومكانته في النفوس باءت بالفشل.

العبادة والإخلاص:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (2)

[سورة الزمر]



العبادة والإخلاص صنوان لا يتفرقان: العبادة هي الخضوع للمنهج، افعَل ولا تفعل. فألتزم بما أمر وأنتهي عما نهى عنه وزجر، والطريق المُعَبَّد هو الطريق المُدَّكَل الذي وَطَّئَتْهُ الأقدام حتى أصبح مُعَبَّداً.

فالخضوع المُطْلَق لمنهج الله هو العبادة، وهذا الخضوع ينبغي أن يكون خالصاً لوجهه تعالى: **(فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ)**.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ (3)

[سورة الزمر]

هنا تقرير للحقيقة بشكل قاطع (ألا): أداة للاستفتاح، للتنبية، (بَلِّغِ الدِّينَ الْخَالِصَ) حَضَرَ وَقَصَرَ. فلم يقل الدِّينَ الخالص لله وإنما قال: لله الدِّينَ الخالص، فأفادت الحَضَرَ والقَصَرَ عن طريق التقديم والتأخير، تقديم الخبر على المبتدأ، شبه الجملة على المبتدأ: (أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ) أي ينبغي أن يكون دِينُكَ خالصاً لوجه الله، فلا تَدِينِ لِصَمِّ ولا لِشَرِّ، ولا لِحِجْرٍ ولا لِشَهْوَةٍ، وإنما تُخْلِصِ الدِّينَ له، أي الرجوع إليه وحده في كل شؤون حياتك (أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ).

الله تعالى مولى المؤمن والكافر لا مولى له:

الآن:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ □ **وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُوا إِلَى اللَّهِ**
رُفْقَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ □ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (3)

[سورة الزمر]

تركوا عبادة الله تعالى واتجهوا إلى عبادة من هم دونه، لأن أي شيء اتخذوه ولياً لك سيكون من دون الله حتماً (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ) الوليُّ هو الله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بُخْرَجُوا مِنْ التُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ □ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ**
بُخْرَجُوا مِنَ التُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ □ **أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (257)**

[سورة البقرة]

فالوليُّ هو الذي يتولَّى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ وَلِيَّيَ اللَّهُ الَّذِي تَرَى فِي الْكِتَابِ □ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (196)

[سورة الأعراف]



نحن وولينا الله
فنحن وولينا الله هو يتولَّى شأننا، يُرشدنا، يُؤدبنا، يعاقبنا، بأبنا بعض العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعنا نرجع وننوب إليه، هو وولينا، الوليُّ يتابع شؤون موالبه، ونحن موالى لله، عبيد عنده فهو يتولَّى شأننا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَكَ يَا اللَّهُ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَإِنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ (11)

[سورة محمد]

من يتولَّى شأن الكافر؟ تأمّل في شاب أو في طفلٍ له ولي، أب يعتني به أو أم ترعاه، تأمّل كيف تكون نيابه، وكيف يكون في مدرسته، وكيف يكون تعامله مع الناس، وكيف يكون مؤدّباً في نطقه وفي لسانه، ثم انظر إلى طفلٍ يتيمٍ ليس الذي فقَدَ أحدَ أبويه وإنما من تلقى له أما تخلّت أو أبا مشغولاً، فتأمّل فيمن لا وليّ له، واسمع كلامه تجد سوءاً في نطقه، واتساحاً في نيابه، ومعاملةً غير لائقة مع أقرانه، لأنه لا مولى له (ذَلِكَ يَا اللَّهُ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَإِنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ) فهؤلاء اتخذوا من دونه أولياء، لمّا سُئلوا: لماذا اتخذتم من دونه أولياء؟ ما حجتهم؟ قالوا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُوا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ (3)

[سورة الزمر]

(زُلْفَى) أي مكانةً ومَنزلةً:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَعَقَرْنَا لَهُ ذُلًّا > وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ (25)

[سورة ص]

أي له مكانة ومَنزلة :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ لَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ أَنفُسًا مُّسِيئِينَ > وَأَرْسَلْنَا فِيهِمُ الْجَنَّةَ > لِلْمُتَّقِينَ (90)

[سورة الشعراء]

أي قُرْبَت. أما زُلْفَى فهي المكانة والمَنزلة، فهنا قال تعالى على لسان هؤلاء، ماذا يقولون؟ ما حجتهم الباهتة التي لا قيمة لها؟ (مَا تَعْبُدُهُمْ) لهؤلاء الأولياء الأصنام اللات والعزّي الذين ادّعوا أنهم ملائكة ثم جعلوا لهم أصناماً (مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) حتى ترتفع مكانتنا عند الله، وترتفع منزلتنا عند الله، فنحن لا نعبدهم، نحن نعلم يقيناً أن الصلّير والتّافع هو الله، وأن المُعطي والتّانع هو الله، وأنه خلقنا وبرزقنا، لكن هؤلاء اتخذناهم واسطة إلى الله لترتفع مكانتنا عند الله، هذه حجتهم، (مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى).

الحكم يجب أن يكون دائماً لله عز وجل:

الجواب الإلهي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ > إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (3)



القانون يُصدر أحكامه بناءً على القانون الوضعي
الحكم لله، ما المرجعية؟ هنا النقطة المهمة جداً، الناس لهم مرجعيات، في الحقيقة لا يوجد إنسان لا مرجعية له، والإنسان الذي يقول لك: قرار من رأسي، أو أنا أفكر بعقلي وأصدر أحكاماً فلا تصدقه، بل له مرجعية. المرجعية يمكن أن تكون القانون، كم من الناس مرجعيتهم القوانين. يقول لك: أنا رجل في بلد فيها قانون، الآن الغرب كله يحتكم إلى القوانين، في معظمه الحكم هو القانون. يقول لك: أخي انظر ما الذي يفرسه لك القضاء أعطيك إياه، فهو مرجعيتهم القانون يُصدر أحكامه بناءً على القانون الوضعي.
هناك أناس مرجعيتهم الأعراف وهم موجودون في بلاد المسلمين بشكل كبير، وذكرهم الله تعالى في قرآنه، يوم كان يقول قائلهم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بَلْ قَالُوا "إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ (22)"

[سورة الزخرف]

أو مُقْتَدُونَ **إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ** الأعراف، تقول له: لماذا فعلت ذلك؟ هكذا رباني والدي، هذا لا يجوز، لا، نحن في العائلة تربيته هكذا، هذا مرجعيتهم الأعراف والتقاليد، يقول لك: نحن هكذا نشأنا، هكذا تربيته، العرف.
الحكم لمن ينبغي أن يكون؟ لله، المرجعية ينبغي أن تكون الله، الله هو القصة المركزية في حياة المؤمن إن صحَّ التعبير، ليست القصة أن الله عز وجل أو منهجه أحد مصادر المعرفة، لا، هو كل المعرفة **(إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ)** أنتم الآن تدعون ادعاء **(مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ)** هذا ادعاء باطل.
الحكم لمن في هذه المسألة للقانون أم للعرف؟ لا، الحكم لله، أي المرجعية هي ما تدين لله تعالى به.
(إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) أي اختلاف يقع بينك وبين أخيك مرجعيتهم ينبغي أن تكون الله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
"وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكِّمُوهُ إِلَى اللَّهِ" **دَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**
(10)

[سورة شوری]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ **إِن تَنَارَعْتُمْ فِي شَيْءٍ**
فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ **دَلِكُمْ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (59)**

[سورة النساء]

الله تعالى يهدي من يشاء ويضلُّ من يشاء:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ ۗ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (3)**

[سورة الزمر]

ربنا جلَّ جلاله يصفهم الآن بالكذب (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ) جاءت كاذب بصيغة علي وزن فاعل، وكفَّار على وزن فَعَّال مبالغة من الكفر، لأن كَذَبَه أودى به إلى
بُصِيح كَفَّاراً يكْفُر بِنِعْمِ اللَّهِ، ويكفر بوجود الله، ويكفر بوحدة الله، ويكفر بكمال الله، فاتخذ من دونه أولياء.
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ وهذه الآية دليل على أن الله عز وجل يهدي من يشاء ويضلُّ من يشاء، لكن هذه المشيئة مُتَعَلِّقَةٌ بحال العبد، وليست تلك المشيئة كما
يظن البعض مشيئة خير، لا أبداً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۗ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْمُتَّعِبِينَ (6)**

[سورة المنافقون]

لكن إذا رغب الإنسان في الهداية فإن الله يهديه، وهنا إن الله لا يهدي من هو كاذب، لكنه يهدي من هو صادق في طلبه، من يرد الحق يهده.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُوذُّونَنِي وَقَدْ تَعَلَّمُونَ أَيْ رَبِّي رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ۗ **وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ (5)**

[سورة الصف]

الله تعالى واحد لا شريك له:

ثم يقول الله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۗ سُبْحَانَهُ ۗ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (4)

[سورة الزمر]

(لَوْ) حرف امتناع لامتناع، لو جئتني لأكرمك، لكن لا أنت جئتني ولا أنا أكرمك (لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا) أي هو ما أراد أن يتخذ ولداً، لكن هذا افتراض، لو أراد الله أن يتخذ ولداً، هم يدعون أن هؤلاء الملائكة بنات الله أو أولاد الله كما يزعمون:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا (43)

[سورة الإسراء]

وَاتَّخِذُوا لَهُمْ أَصْنَامًا يُعْبُدُونَهُمْ لِيُقَرِّبَهُمْ إِلَى اللَّهِ يَرْجِعِهِمْ، قَبِّرِدْ عَلَيْهِمُ الْمَوْلَى جَلِّ جَلَالَهُ بِنِقَاشِ وَجْوَازِ هَادِيٍّ يُعَلِّمُنَا فِيهِ طَرِيقَةَ هَادِيَّةٍ فِي الْحَوَارِ، افْتَرِضْ مَا يَرِيدُهُ الْخَصْمُ نَمُ زِدَّ عَلَيْهِ، أَحْيَانًا يَكُونُ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ تَسْتَمِعَ لِلْخَصْمِ، وَأَنْ تُسَلِّمَ لَهُ نَمُ زِدَّ عَلَيْهِ مِنْ مَنَاطِقِهِ هُوَ، فَيَكُونُ هَذَا أَدْعَى لِثُبُوتِ حُجَّتِكَ عَلَيْهِ.

فقال: (لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) وهم يُسَلِّمُونَ أَنْ اللَّهَ قَدْ خَلَقَ، هُم لَا يُنَارِعُونَ اللَّهَ فِي خَلْقِهِ، الْمُشْرِكُونَ لَا يُنَارِعُونَ اللَّهَ فِي خَلْقِهِ، مَا تَجَرَّأَ مُشْرِكٌ أَنْ يَقُولَ: إِنَّ اللَّهَ عَرَّ وَجَلَ لَمْ يَخْلُقْ، كَمَا يَتَجَرَّأُ الْيَوْمَ مِنْ يُسَمُّونَ أَنْفُسَهُمُ الْمُلْحِدِينَ وَأَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِوُجُودِ إِلَهٍ وَكَذَا، هَذَا كُلُّهُ لَيْسَ خِلَافَ الدِّينِ وَإِنَّمَا خِلَافُ الْفِطْرَةِ وَالْمَنْطِقِ، فَهَمُّ يُقَرِّبُونَ لَهُ بِالْخَلْقِ، فَيَقُولُ لَهُمْ: مَا دُمُّمُ تُقَرِّبُونَ بَانِي قَدْ خَلَقْتُ كُلَّ شَيْءٍ، فَعِنْدَمَا يَرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا حَاشَاهُ جَلِّ جَلَالَهُ، فَإِنَّهُ يَخْتَارُ مِنْ بَشَاءٍ لِيَكُونَ وَلَدًا لَهُ، لَا يَنْتَظِرُكُمْ حَتَّى تُعَيِّنُوا لَهُ الْأَوْلَادَ (لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ) لِاخْتَارِ، الْأَصْطَفَاءُ هُوَ الْإِخْتِيَارُ بِعِنَايَةٍ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (33)

[سورة آل عمران]



الاصطفاء هو أن يختار الإنسان شيئاً وتصطفيه
فلاصطفاء هو أن يختار الإنسان شيئاً وتصطفيه، إذا كان هنالك معك في الصف ويوجد لديه ثلاثون طالباً فهو تصطفي منهم من يشاء ليَجْعَلَهُ مُعَاوِنًا لَهُ، لَيْسَ بِحَاجَةٍ لَكَ أَنْ تَصْطَفِيَ لَهُ، إِذَا احْتَاجَ مَسَاعِدًا فَهُوَ بِصْطَفِي. فَهَذَا قَالَ: (لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ) أَي هُوَ مُتَرَدِّدٌ عَنِ الْوَلَدِ، هُوَ مُتَرَدِّدٌ عَنِ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ، فَالْوَلَدُ بِحَقِّ الْإِلَهِ تَقْيِصَةٌ، أَمَّا الْبَشَرُ فَالْوَلَدُ بِحَقِّهِمْ لَيْسَ نَقِيصَةً لِأَنَّ الْإِنْسَانَ بِحَاجَةٍ لِلْوَلَدِ، وَعِنْدَمَا يَأْتِيهِ الْوَلَدُ تَشُدُّ مِنْ أَرْزِهِ وَتُسَاعِدُهُ وَتُعَاوِيَهُ، فَكَانَتْ الْعَرَبُ تَحْتَاجُ الْوَلَدَ، لَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَلِّ جَلَالَهُ لَا يَحْتَاجُ وَلَدًا، فَسُبْحَانَهُ عَنِ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ، لِأَنَّ كَوْنَ الْوَلَدِ لَهُ أَتَّهَمُ لَهُ بِالنَّقْصِ وَالْحَاجَةِ وَهُوَ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)

[سورة الإخلاص]

(هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ)، (الْوَاحِدُ) وَاضِحَةٌ مُنَاسِبَتُهَا، هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ مِنْ أَسْمَائِهِ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا وَلَدٌ وَلَا وَالِدَةٌ، لَا وَلَدٌ وَلَا وَالِدٌ (الْقَهَّارُ) لِأَنَّهُ قَهَرَ خَلْقَهُ جَمِيعًا، فَهَرَبَهُمْ لِأَنَّهُمْ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، فِي كُلِّ لَحْظَةٍ، وَقَهَرَهُمْ بِالْمَوْتِ، وَقَهَرَهُمْ بِالْحَشْرِ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهُوَ الْقَهَّارُ جَلِّ جَلَالَهُ.

(سُبْحَانَهُ ۚ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْعَقَابُ) ولا يخفى أن القَهَّارَ صفة أو القَهَّارُ مُتَمِّمَةٌ للواحد جلَّ جلاله، فهو واحد قَهَّارٌ.

تسخير الله عز وجل الكون للإنسان:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ۚ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۚ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْعَقَابُ (5)

[سورة الزمر]

كما أنه أنزل كتابه بالحق، فقد خَلَقَ السماوات والأرض بالحق، ما خَلَقَهَا عَبَثًا وإنما بالحق، السماوات والأرض هي كل شيء سوى الله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ۚ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۚ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْعَقَابُ (5)

[سورة الزمر]



الأرض كُرَّةٌ تدور حول نفسها وحول الشمس لا يمكن أن نفهم هذه الآية أو هذا الجزء من الآية قهماً عميقاً إلا من خلال تفسيرها تفسيراً علمياً وفق معطيات العصر، وهي أن الأرض كُرَّةٌ تدور حول نفسها، وتدور حول الشمس، وأثناء دورانها حول نفسها، الجزء الذي يكون في وجه الشمس يكون نهاراً والجزء المعاكس للشمس يكون ليلاً، فإذا تحركت عند الغروب كَوَّرَ الليل على النهار، وعند الفجر يَكُوِّرُ النهار على الليل، ولا يوجد شكل هندسي يمكن أن يُحَقِّقَ هذا التكوُّبِ إلا الكرة، وفي آيات أخرى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (6)

[سورة الحديد]

التَّداخُلُ لا يمكن أن يَتِمَّ، و التَّكْوِيبُ لا يمكن أن يَتِمَّ إلا من خلال شكل الكرة، أمَّا لو كانت بأي شكلٍ آخر فلا يمكن أن يكون هذا الوصف مُنطَبِقاً عليها تماماً، لأن المُرْتَبِعَ مثلاً فجأةً ينتقل لأن الخطوط غير ممتدة، الخطوط لها نهاية، لا يوجد خطوط تمتد إلى ما لا نهاية إلا على الكرة. فإذا بدأت بخط على الكرة وُدَّرت لا تتوقف، ستعود ثم ترجع وهكذا. فالتَّكْوِيبُ والإبلاج، (يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ، و يَكُوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ) لا يمكن أن يفهم إلا في ضوء المعطيات العلمية التي تؤكد أن الأرض كُرَّةٌ تدور حول نفسها وحول الشمس.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ۚ وَسَخَّرَ
السَّمْنَ وَالْقَمَرَ ۚ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْعَقَابُ (5)

[سورة الزمر]

التَّسْخِيرَ لَكَ، أَنْتَ الْمُسَخَّرُ لَهُ، وَهُوَ الْمُسَخَّرُ جَلَّ جَلَالُهُ، وَالْمَخْلُوقَاتُ هِيَ الْمُسَخَّرَةُ، فَإِذَا اسْتُخْدِمَتْ مَا سُخِّرَ لَكَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَشَكَرْتَ اللَّهَ عَلَيْهِ، وَتَعَرَّفْتَ إِلَى اللَّهِ مِنْ خِلَالِهِ، فَأَنْتَ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْ كُلِّ مَا سُخِّرَ لَكَ.
فَإِذَا أَعْرَضَ الْإِنْسَانُ عَنِ اللَّهِ، وَاسْتُخْدِمَ مَا سُخِّرَ لَهُ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، أَوْ لَمْ يَشْكُرْ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى مَا سَخَّرَهُ اللَّهُ لَهُ، كَانَتْ الْأَنْعَامُ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا مِنْهُ، قَالَ تَعَالَى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۚ بَلْ هُمْ أَصْلَابٌ سَبِيلًا (44)

[سورة الفرقان]

لأن الأنعام سُخِّرَتْ لَكَ فِقَامَتْ بِمَا سُخِّرَتْ لَهُ، فَتَرَكْنَاكَ وَانْقَادَتْ لَكَ وَدَبَّحَتْهَا وَأَكَلَتْ لَحْمَهَا وَشَرِبَتْ حَلِيبَهَا وَانْتَفَعَتْ بِصُوفِهَا، لَكِنَّكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الشَّارِدُ عَنِ اللَّهِ لَمْ تَقُمْ بِمَا طَلَبَ مِنْكَ فَهِيَ خَيْرٌ مِنْكَ عِنْدَ اللَّهِ.
الْمُسَخَّرُ لَهُ أَكْبَرُ مِنَ الْمُسَخَّرَاتِ، مَتَى؟ عِنْدَمَا يَسْتُخْدِمُ مَا سُخِّرَ لَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، لَكِنَّا أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْهُ عِنْدَمَا نُحَقِّقُ الْهَدَفَ مِنْ وَجُودِهَا وَلَا نُحَقِّقُ الْهَدَفَ مِنْ وَجُودِهَا وَوُجُودِهَا.



الشمس نجم مُلْتَهَبٌ بِكِبَرِ الْأَرْضِ بِمِلْيُونٍ وَثَلَاثِمِئَةِ أَلْفِ مَرَّةٍ
(وَسَخَّرَ السَّمْنَ وَالْقَمَرَ) الشَّمْسُ نَجْمٌ مُلْتَهَبٌ، يَكْبُرُ الْأَرْضَ بِمِلْيُونٍ وَثَلَاثِمِئَةِ أَلْفِ مَرَّةٍ، أَيَّ يُمْكِنُ أَنْ يَبْسِيعَ جُوفَ الشَّمْسِ لِمِلْيُونٍ وَثَلَاثِمِئَةِ أَلْفِ أَرْضٍ، لِسَانَ اللَّهَبِ الَّذِي يَنْطَلِقُ مِنَ الشَّمْسِ قَدْ يَصِلُ طَوْلُهُ إِلَى مِلْيُونٍ كَيْلُو مِتْرٍ، دَرَجَةُ الْخَرَارَةِ فِي مَرْكَزِ الشَّمْسِ تَقْتَرِبُ مِنْ عِشْرِينَ مِلْيُونِ دَرَجَةِ، يُقَالُ: إِنَّهَا أَقْدَ اسْتَعْلَتْ مِنْ 5000 سَنَةٍ، وَأَنَّهَا مُسْتَمِرَّةٌ إِلَى 5000 سَنَةٍ أُخْرَى حَتَّى تَنْطَفِئَ، لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَشْتَعَلُ يَنْطَفِئُ بِالنَّهَابَةِ.
هَذِهِ الشَّمْسُ مُسَخَّرَةٌ لَكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ، وَالْقَمَرُ مُسَخَّرٌ لَكَ، الْقَمَرُ مُعْتَمِدٌ لَيْسَ مُصْنِعًا يَأْخُذُ ضَوْءَهُ مِنَ الشَّمْسِ، وَالشَّمْسُ ضِيَاءٌ، وَالْقَمَرُ نُورٌ وَالشَّمْسُ ضِيَاءٌ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
> هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ صَبَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ۚ وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ
وَالْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ يُقْضَىٰ الْآيَاتُ لِقَوْمٍ يُعْلَمُونَ (5)

[سورة يونس]

هذه الشمس و ذلك القمر مُسَخَّرَانِ لَكَ (وَسَخَّرَ السَّمْنَ وَالْقَمَرَ ۚ كُلُّ) أَيَّ مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَمَا فِي الْكُونِ كُلِّهِ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ **﴿﴾** وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (40)

[سورة يس]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ **﴿﴾** يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ **﴿﴾** وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ **﴿﴾** كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى **﴿﴾** أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْعَقُورُ (5)

[سورة الزمر]



السُّرْعَاتُ هَائِلَةٌ فِي الْفِضَاءِ الْخَارِجِيِّ

أيضاً هذا لا بد من أن يفهم في ضوء المعطيات العلميّة الحديثة، (تجري) عتبر بالجران لأن السُّرْعَاتُ هَائِلَةٌ فِي الْفِضَاءِ الْخَارِجِيِّ، أنت اليوم عندما تنظر إلى السماء وتُصِرُّ نَجْمًا وتَنَاقُلُ فِي جَمَالِهِ، هذا النُّجْمُ ربما يكون الآن غير موجود، هذا النُّجْمُ نَحْتَاجُ إِلَى عِشْرِينَ مِليُونِ سَنَةٍ ضَوْئِيَّةٍ حَتَّى يَصِلَ ضَوْؤُهُ إِلَيْنَا، أَيْنَ هُوَ الْآنَ؟ هُوَ يَجْرِي، رُبَّمَا يَكُونُ قَدْ وَصَلَ إِلَى ثِقَبِ أَسْوَدٍ وَانطَفَأَ وَانتهى، وأنت الآن ترى نوره، لذلك قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَلَّا أَفْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75)

[سورة الواقعة]

ولم يقل بالنجوم ولا بالمسافات بينها، لأن صاحب الموقع قد لا يكون موجوداً في الموقع، هذا موقع النجم الذي نراه، نحن لا نرى نجوماً نحن نرى مواقعها، لأنها تمشي بسرعات هائلة، لكن لمَّا كانت بعيدة عنا، يُقال: إن الفراغ رأوا النجوم في الأماكن التي نراها نحن الآن، بسبب البُعد الهائل عنا، لكن هي تمضي، الله أعلم أين أصبحت، لكن أطلق ضوءاً من عشرين مليون سنة واستمّرت، أطلقت ضوءاً من مليار سنة واستمّرت في جرتانها، وأنت الآن ترى الضوء الذي انتعت منها قبل آلاف السنوات أو ملايين السنوات، (كُلُّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى).

هناك في الكون ما يُسَمَّى الثُّقُوبُ السُّوداء، التي يدخل فيها بعض النجوم والكواكب وتنطفئ وتصبح كثافتها عالية جداً، ويقال: لو دخلت الأرض فيها مثلاً لأصبحت بالوزن نفسه بحجم بيضة، بالوزن نفسه بحجم بيضة، تدخل لأجل مُسَمًّى، الله تعالى ما أخبرك ما هذا الأجل، لأجل مُسَمًّى لكنه مُحدّد عند الله، لا بد أن ينتهي كل شيء في الحياة، لا بد أن ينتهي، كل شيء هالك إلا وجهه جلّ جلاله.

الله عز وجل عزيز غفار يغفر لعباده مع عدم حاجته إليهم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ۚ وَسَخَّرَ
الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۚ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (5)

[سورة الزمر]

هنا العزيز العَفَّارُ، هناك العزيز الحكيم، (الْعَزِيزُ) مرهوب الجانب تَعْلِبُ ولا يُعَلَّبُ، يحتاجه كل شيء في كل شيء لكنه لا يُجَافِي الحكمة في تصرفاته وأفعاله، ثم هو فوق ذلك عَفَّارٌ، أحياناً العزيز لا يَغْفِرُ، إذا كان في منصب كبير يقول لك: إذا سامحتُ أخاف أن تُنْتَقَصَ مكانتي، وأن ينال الناس مِنِّي، وأن يقولوا إنني مُتَسَاهِلٌ، يقول لك: بعد قليل يركبون على أكتافي، أريد أن أكون جازماً، والله تعالى عزيز ومع عَزَّتِهِ ليس غافراً وإنما عَفَّارٌ يغفر الذنوب رغم عدم حاجته للعباد حتى يغفر لهم، وعدم حاجته لأي شيء منهم لكنه عَفَّارٌ جلَّ جلاله (أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْعَفَّارُ).

والحمد لله رب العالمين

نور الدين الاسلامي